

# السحر والحلم والأسطورة

بقلم هيربرت ريد  
ترجمة ناسم عويد

او تجنبه . ومن السهل ان نكتشف ان رموز الحياة والموت بدخل في نسيج تاريخنا واساطيرنا وشعرنا وتصويرنا واحاديثنا ، بل ربما كان المسير الاول في حياة كل فرد منا بطرق كثيرة يكشف عنها التحليل النفسي لايه حاله عادية غير انه حالات غير عادية منها حاله الشاعر .

ليس الشاعر كالعالم الذي يدون مشاهداته فقط وانما هو رجل يبدع الاساطير . واذا تساءلنا كيف يتم لرجل ان يبيع هذا المستوى الرفيع من الابداع قلنا انه منهم او ممسوس اي انه ليس في حالته الذهنية الطبيعية ، فهو يتلفى اصواتا تدت تبدو للاولين منزلة من السماء ، اما نحن فنقول انها تنبع من اعماق الذات ونقصد بالحالة الذهنية الطبيعية الفعل الواعي . فعندما لا يكون الشاعر في الحالة الذهنية الطبيعية ، لا بد ان يكون في حالة ذهنية اخرى هي من وجهه نظر الحياة العلمية العادية ، غير طبيعية ، اما من وجهة نظر الحياة التصويرية فهي حالة الذهن الاسطوري التي لا نعرفها الا معرفة ناقصة ، اضطرية رغم اننا كلنا نعاينها في الاحلام ، ولكن معرفة الشاعر لها تتصف بالنفوذ والانتقاء .

كل ذلك يقربنا بالمائلة بين الشعر والحلم ( او قل الخيال والحلم تجنبنا للعبارات ذات الطابع الفني واللغوي) . لقد وجد فرويد انه من الضروري ان نميز بين مستويات او درجات للنشاط الحلمى يكون المستوى السطحي منها هو حلم اليقظة وهو ما يميل الى مماثلته بالخيال الشعري . ويؤكد فرويد ايضا ان ليست الاسطورة سوى حلم شعب بأكمله ، اما فحواها فيقل باعماق اللاشعور . ولكن يونغ الذي درس هذا الجانب من الاسطورة دراسة اوسع واعمق يميل الى القول بوجود نفس عرقية تتسلل منها الاسطورة الى اعماق الذهن الفردي للشاعر . الا ان هذا القول لم يرق عليه دليل موضوعي .

تختلف الاسطورة عن القصيدة في ان تلك تثبت بفضل صورها ، والصورة قابلة للنقل بواسطة الرموز اللفظية لاية لغة ، وهذا ما يجعل جوهر الاسطورة قابلا للانتشار ، اما القصيدة فتثبت بفضل لغتها وجوهرها من صميم هذه اللغة . لذلك يكاد يكون من المستحيل ترجمة القصيدة من لغة اخرى ترجمة كاملة واذا ترجمت القصيدة كانت الصور هي كل ما يترجم منها . ومع ذلك فالقصيدة اكثر من جوهر اللغة ، فهي هذا الجوهر متحد بالصور . وفي مراحل متأخرة من التطور البشري يتحد جوهر اللغة بالفكر الموجود بدلا من الصور وهذا من اندر انواع الشعر وهو الى ذلك نذير بالتقهقر الشعري . ان الفن ، بصريا كان او لفظيا ، تصويري Eidetic قبل كل شيء اي انه يقوم على انبثاق الصور الحية الواضحة في خيال الفنان وهو مدرك انفعاليا ان صورته ذات وجود مرئي . وفي هذا يشبه الفن الحلم ، ففي الحلم تكون الصور

قد يبدو للوهلة الاولى ان الاسطورة من ابعد الادوار عن الذهنية العلمية الحديثة . فالطلاب يقرأون الاساطير لفروض في الادب يشتمل عليها منهاج دراستهم ، ويقرأها بعضهم بفضص بسيطة شيقه ، اما الرجل العادي فلا يجد لها اي معنى . ولا يستثنى من ذلك اساطير هومات وفاوست والمسيح ، وحتى هذه لم يعد لها قيمة لدينا رغم قربها منا ودخولها في صميم ثقافتنا . فاليوم لا يؤمن بالاساطير المسيح غير سادج او متصوف او رجل فسر نفسه على الايمان . واما هومات وفاوست فليس سوى رجلين لا اسطوريين يطوفان في هذا العالم صفرا من الايمان بالنفس او بالقدرة .

ويلاحظ ، مع ذلك ، انه كلما توغل العلم - وخاصة على النفس الفردي - في مجاهل الحياة وكشف من اسرارها افترب من عالم الاسطورة . ويقترب العلم من غايته في علم النفس الفردي ، الذي يزودنا بمعرفة لذواتنا لولاها لفقدت كل معارفنا الاخرى جدواها ، وكلما تقدمنا بمعرفتنا لذواتنا بالطرق الموضوعية كالتحليل والملاحظة ازداد ايماننا بان اساطير الاولين ما كانت سوى تجسيد لهذه المعرفة . لذلك يولي فرويد الاساطير اهتماما كبير في مؤلفاته . والسبب ذاته نرى الاساطير تعود الى الحياة بعد ان مضى عليها مئات السنين وهي تعد في الاموات ، وقد يأتي يوم نجد فيه جميع الابطال والالهة الذين ملأوا اذهان القدماء واشاعوا فيها الراحة والرضى يبعثون للقيام بوظائفهم الرهزية من جديد . لقد عاد اوديب ليمثل العقدة التي سميت باسمه ، وها هو كيوييد يعود ليمثل الحب والجنس بعد ان اصبحت هاتان اللفظتان لا تعبران عما لا كبر غرائزنا الانفعالية من ضرورة وقوة .

يشعر البشر ، على كل حال ، بالحاجة الى تجسيد العواطف الحميمه المستحبة ، اما غريزة الموت فتبقى مفهوما مجردا بعيدا عن التشخيص وذلك لما له من رهبة ولم يجرؤ فرويد نفسه على تشخيص هذه الغريزة التي انتصرت على كيوييد ، بل اصر على استعمال عبارة « غريزة الموت » بدلا من ( تاناتوس ) اله الموت ، فهو يقول : « ان الصورة التي تبرز فيها الحياة هي حصيلة التعاون او التنازع بين كيوييد وغريزة الموت » . ولا غرابة في ذلك لان خيالنا لا يحاول ان يضع صورة لتاناتوس . انه يخشى ان يبدع صورة للموت يمكن التعرف اليها ، اذ لو فعل لكانت الصورة مخيفة حتى لا تطاق ، لذلك يبقى الموت مدفونا في اعماق اللاشعور لا يطفو منه الا بعض الرموز الجامدة الميتة ( كالجحمة ) .

ورغم ذلك فان الموت موجود في الاساطير الكبرى وان يكون من الصعب احيانا التعرف اليه فيها . ويرمز اليه عادة بوحش او تنين او افعى مخيفة يكون على كيوييد، ممثلا بالبطل القضاء عليها ، ولا يبلغ الحب غايته الا بقتل الوحش

ولو استطعنا ان نملي احلامنا كاملة لكان ما نمليه شعرا  
 راعا ولنا عاجزين حتى عن ذكرها . لذلك لا تزال العلاقة  
 بين الشعر والحلم بحاجة الى من يلتفت عنها ويرسم  
 حدودها ، غير ان المحاولة حظرت لها ساين .

حلمت مرة بانني واقف على ضفة بحيرة (اقول واقف مع  
 ان المرء لا يعي وضعه الجسمي في الحلم ، بل يشعر انه  
 موجود فقط ، وموجود في بل ملان .) وكانت تقوم عن  
 يميني صخرة شاهقه . من ماء البحيرة صافيا نابور  
 وبان يشف عن قاعها الخشن . وفجأة شعرت بشخص  
 طائر ما بين الصخرة والبحيرة ، ودن الشخص امرأة عاربه  
 رائعة الجمال تنثر فوق راسها ملاءة من الحرير الذهبي  
 كشرع اففي . هبطت برشاقة ورفق الى سطح الماء ثم  
 غاصت دون صوت ودون ان يتجدد سطح الماء . بقي الشرع  
 الافقي عانما وفي وسطه كبة من الجبال ، وتحت الشرع ،  
 على اعناق تمتدد الفتاة كأنها ديتة . احسست برغبة بالفوض  
 لانتشالها ، ولكن ما كدت ادرك احساسي حتى اجتذب  
 انتباهي الشرع الحريري العائم وكبة الجبال . واثنا لحظة  
 التردد هذه هرع امرؤ اجر الى الماء وغاص في الماء ، وعندما  
 مس الماء افقت .

ها هنا حلم واضح الصور وذو ملامح بارزة من وجهة  
 نظر التحليل النفسي ، ولكن ما يهمنا منه الان هو امكانيته  
 الادبية ، وايس تأويله فتأويله امر شخصي بحث . ترى  
 هل استطيع ان انظمه شعرا واثاره لا تزال حية في ذهني ؟  
 لقد جربت وهاك حصيلة التجربة .

- (ونظر ، كأنها ملاك ،  
 من صخرة الشاطئ صوب الغدير .  
 تحملها ملاءة من الحرير  
 قد نشرتها فوق راسها الجميل )  
 وعصر الهواء ، في الاحلام ،  
 صاف هيوولي ، دائم السكون  
 ( لا مويجات تكسر صفحة الماء  
 عندما تهبط الفتاة )  
 الكتابة الباردة  
 في ثنايا غدنا المجهول  
 ( تتلقاها البحيرة ) فهي لها حبيبة  
 ( ويزين القاع الصخري جسدها ) المتتهك  
 (وتظل مستلقية) كالنائمة  
 ( هي كنز يناله ) من يجروون  
 على تحطيم مرآة البحيرة  
 (لا جراحة لي) ، انهزامي  
 ( لقد رأيت الملاءة التي حملتها  
 تنبسط على صفحة الماء ) ، كمنظله  
 (وتستقر عليها كبة من الجبال).  
 ( يهرع غيري الى الماء ويفوض فيه )  
 وانا حر بان ابقى سجيناً  
 في كهف احلامي الابدي . (1)

دعني اقول ، قبل شيء ، ودعنا لسوء الفهم ، بانني  
 اعتبر القصيدة فاشلة . انها فاشلة بمعنى خاص لانها تعبر  
 عن معنى الحلم ولا تنقل بحال وضوح صورة العجيب .  
 وهي فاشلة بمعنى عام لعجزها عن نقل نوعية  
 الحلم الى الآخرين . وهي ، الى ذلك ، فاشلة كشعر ، اذ قد  
 تكون القصيدة ظاهرة النجاح كشعر ان تبين لنا شيئاً عن

(1) لقد حرصت على ان تكون الترجمة حرفية كي تتم الفائدة من  
 الاستشهاد بها لتوضيح قصد الكاتب (المترجم)

واضحة لا غموض فيها ولا تقيم رغم تدأخلها احياناً . ان  
 لكل شيء في الحلم وجوداً مستقلاً منفصلاً عن المجموعة  
 فالريف في الحلم مؤلف بعنايه ووضوح كالريف في رسوم  
 القرون الوسطى . ان الحلم مرئب من ادراك حسي حاد  
 ونظام لا طبيعي . والنظام فيما نسميه الطبيعة ، والسذي  
 ما هو الا بصورنا البشري الضحل للواقع ، نظام كيفي  
 تصفي . ان الفنون لها ما عدا اثرها استغراقاً في  
 البساطة الفطرية ، تقوم على انتقاء العناصر وترتيبها ، وكذلك  
 الحلم انتقائي ، غير انه ، على حين يميل الفن الى  
 ترتيب العناصر المنتقاة حسب نظام عقلي او غريزي كالتوازن  
 والتناسق والانسجام والتناغم ، يرتب الحلم عناصره المختاره  
 وفقاً لمقصد رمزي لا يفهم مغزاه الا بالتحليل الكامل  
 للحلم نفسه .

لا يوجد مع ذلك فرق واضح بين الحلم والعمل الفني  
 وان التعمق في دراسة الفن يبين لنا ان اقرب الاعمال  
 الفنية الى الخلود هي اقربها الى النظام اللامنطقي السذي  
 يتصف به الحلم . فقد يتقهقر الفن او يتصلب او يضمّر  
 امام جبروت العقل وينحصر وجوده في سجلات المعاهد  
 العلمية ، اما العمل الفني الذي يتصف بلا منطقية الحلم -  
 كالاساطير والخرافات والفلكلور والشعر الذي يجسدها -  
 فلا تنال منه التبدلات الاقتصادية او السياسية او هجرات  
 الشعوب او تبدلات اللغة ، بل تتناقله الاجيال دون تحوير  
 خطير في جوهره : انه يبقى لا عقلياً ولا واقعياً وقيمته  
 ابداً من ظاهر معناه .

ان الاسطورة ، او الصورة ، الى حد ما هي التي تخلق  
 القصيدة ، اذ تعمل طاقتها التصويرية Eidetic Energy  
 كوسيط كيميائي بين الجزئيات اللفظية المعلقة فلا ترسب  
 منها الا ما يكسون الصورة بابهي حلل الكلام .

## روائع العالم والثقافة

لأول مرة في اللغة العربية نضع بين يدي القارئ  
 العربي الترجمة الدقيقة لاروع المغامرات والجولات  
 العالمية في دنيا العام والثقافة وذلك  
 بحجم جديد وسعر زهيد واخراج فاخر

صدر من المجموعة

- 1- في اغوار المحيط ٢- الانسان رائد الفضاء
- 3- العالم المتجمد ٤- نسور الجو

ثمان العدد الواحد ١٠٠٠ قرشاً لبنانياً

منشورات المكتبة الأهلية - بيروت

طبيعة الحلم . ان هذه القصيدة فاشلة من حيث الابداع الفني والتعبير على السواء فالتجربة هنا لم تصهر الرموز اللغوية صهرا موفعا ، ولم تبلغ الغفاية لا في اختيارها ولا في نظمها نظما فيما .

وفي البحث عن علة هذا الفشل لاحظت انني ، اثناء عملية التحويل ، ابتعدت هنا وهناك عن المحتوى الفعلي للحلم . ان الكلمات والعبارات التي حددتها بافواس هي اضافات من عقلي الواعي . اما التعليقات كقولني : ( الهواء في الاحلام دائم السكون ) والتشبيهات نحو ( نائمه ) وعبارة ( الكآبة الباردة في ثيابا غدا المجهول ) و ( كنز ) فهي كلها استعارات شعريه ، وليست من نوع الرموز التي تصدر عن اللاشعور ، والتي تعرف بالصور Images

باني هذه التعريف والتشبيهات والاستعارات دون جهد يذكر ، انها تداعيات تلقائية وهذا ما يعطيها بعض الاهمية من الوجهة النفسية . اما من حيث اصلها فتختلف تماما من الرئية الاساسية للحلم نفسه ، ولا يستطيع التمييز الدقيق بين النوعين سوى شاعر ، رغم وجود هذا الفرق في الشعور له . ويجب ان نتخذ **درجة الفرق** بين صور الشاعر وصور الحلم الرئية اساسا للمفاضلة بين الشعراء . فالصور الرمزية عند شيللي مثلا هي التشر منها عند ورد دورث الذي يترسم خطى ملتون ، وملتون هو ، قبل كل شيء ، شاعر الاستعارة ، وان يكن قد وقع احيانا على بعد الصور الرمزية كما يأخذ عليه بعباده في القرن الثامن عشر . واني ارى ان الشعراء التصويريين نسيكسبير وشيللي وبليك هم جوهريا اشعر من اصحاب الاستعارات بوب ودرابدين وورود دورث ، ولكنني مع ذلك اعترف ان هذا المعيار النعدي هو وحيد الجانب لانا قد نجد عند درابدين مثلا صفات تعوض عن فقدان الصور الرمزية لديه تسلاسه التعبير واختيار اللفظ الموفق ، لان الشعور ليس رؤى فقط بل هو صوت ايضا . وقد ذكرت ان الانسين متصلان اتصالا وثيقا . فلا نكاد نسمع صوتا حتى نتصور ما يتصل به ولا نرى صورة ونصوغ رمزها اللفظي .

هل تستقطب الصور رموزها اللفظية في الشعر الذي يكتبه الشاعر تحت ضغط الهامه كقصيدة (فيلاي خان) انه ليبدو لي ان الاجابة عن مثل هذه الاسئلة بالاجاب يجعل الشعر بالغ السهولة ولكن الواقع هو غير ذلك : فقد اثبتت تجربتي الشخصية انه ليس اصعب من تحقيق ترجمة فورية للحلم الى مقابلات لفظية وحتى لو تجاهلنا الحقيقة التي يقرها فرويد ، وهي ان الحلم الاصلي ، او قد لا يكون اكثر من جزء بسيط من الحلم الاصلي ، او ربما كان صورة مشوهة له ، لا بد لنا من عبور الفجوة بين التجربة والتدبير ولا يتم هذا العبور الا في حالة من الغيبوبة او التلقائية ، وفيها تجتذب صور الحلم الكلمات من الذاكرة كما يجتذب المغناطيس الابرة من كومة الهشيم . والدليل الوحيد على قولني بان هذه الكلمات شعريه بالضرورة هو حفنة من القصائد ، ( كقبلاي خان ) نقل اليها انها كتبت في حالة من الغيبوبة ومتفق على كونها قصائد عظيمة . وعلى الشعراء الان ان يمتحنوا هذه النظرية بالتجريب الصارم ، فقد يحتاجون الى وقت طويل بل كي يستنبطوا البيئات وجمعوا على صحة التجربة او قيمة الشعر ( وهو ذات الشيء ) ، ولكنهم بذلك يضعون بين يدي النقد الادبي عددا كافيا من الواقع للحكم في هذه المسألة .

التلقائية ظاهرة لا تزال بحاجة الى الدرس ، ولكن ربما

كان علي ان اعطي تعريبا ادف للكلمة ، فالتلقائية هي حاله ذهنيه يكون التعبير فيها فوريا وغريزيا بحيث تكون فجوه زمنيه بين الصورة ورمزها اللفظي . ولا ست ان الالعاط التلقائية هذه طاهره يومية ، انها التعبير الطبيعي عن الحزن والفرح والحيره والدهشه . . . . . انها المدد الاساسيه للبلاد ، وبهذا المعنى يكون الشعر صوره اساسيه من صور الكلام . ولا يحيز الالفاظ التلقائية عن الحديث الاستطراذي سوى فوريتهسا وترجمتها للصورة التي تكون ، ساعه النطق بها ، مسيطره على اذهاننا بعوتها العنائية او الدرامية .

كان د.ه. لورانس يدرك هذه الحقيقة عندما كتب في مقدمته ( فصاد جديد ) التي نشرت في اميركا عام ١٩٢٠ يقول :

( الحاضر المحض مملكة لم تقهرها بعد . اللحظة : سر عظيم من اسرار الزمان لا يزال مجهولا . نحن لا نكاد ندرك سرا من اعظم الاسرار هو الذات الانية العورية . اللحظة هي جوهر الزمان كله . وان جوهر الكون كله والخلق منه هو الذات البشرية المجسده . لقد اعطانا الشعر دليلا يهديننا الى ضالتنا ، وهذا الدليل هو القريض الحر ، ففي القريض الحر نبحت عن النبضه العاريه العارمة للحظة الان . ان تحطيم الغالب الجميل للشعر الموزون وعرض التنف كمادة جديدة اسمها القريض الحر هو ما يفعله معظم الناظمين لهذا النوع من الشعر . فهم لا يعلمون ان الشعر الحر له طبيعته الخاصة فهو ليس نجما ولا لؤلؤة بل هو كاليولي الحية يعيش في لحظته الان . انه لا هدف له لا في الزمان الموقوت ولا في الابدية لانهاية له . لا يبلغ الاستقرار الذي يرضى من يحبون الامور المستقرة الثابتة ليس هو من ذلك في شيء انه اللحظ ، انه اللب ، انه المنبع الثر لما مضى ولما هو آت . اللفظة فيه كالاختلاجه ، اتصال سافر بجميع المؤثرات في آن واحد . لا يهدف الى بلوغ اي مكان . انه يحدث وكفى .

ان الشعر الفوري لا بد ان يكتب منشورا ، غير انه في الوقت نفسه يميل الى ان يكون قوي الايقاع وان يكن ايقاعه غريزيا لا شعوريا ، اذ هو نبرات التعبير وفواصله . ويأتي هذا الايقاع ، كما تأتي الكلمة ، بتأثير قانون التداعي الذي يبدو عاملا في الحقل الباطن . وهو قانون ينتقي المتكافئات في الصورة البصرية ، والتعبير اللفظي ، والتعبير الموسيقي ، والامتداد الزمني . فهناك الصورة شبيهة براقق التصوير ، وهناك في الوقت ذاته مسار صوتي ، منتقي ، ومعدل بصورة تلقائية ، يعبر تعبيرا كاملا عن الصورة ويواكبها بانسجام تام .

واعني بحديثي الشعر المثالي الذي لم يكتب منه في الماضي الا نادرا . اما ان يكون بالامكان الزيادة في كم هذا

طبعت على مطبع :

دار النشر للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٢٩٢١

تزيدها نراء كل التعميدات الداخلة في أرغن وورليتز .  
 نذلك يبقى الشعر الاساسي في التعبير الاتي عن الصورة ،  
 اي ، في النبضة الطرية العارمة باللحظة الان ) .  
 وبالرجوع لحظة الى تجربتي الخاصة أستطيع ان  
 اعلن ان كل ما كتبتة مما اصر على اعتباره شعرا صحيحا  
 قد كتب بصورة فورية انية وفي حالة غيبوبة . والان ،  
 فانه لمن المستحيل تقريبا ان يبقى المرء نفسه في غيبوبة  
 ولو لفترة قصيرة من الوقت ، بل ان اقل ضجة او تدخل  
 من العالم الخارجي كاف لتبديدها . لقد بدد الغيبوبة  
 التي كان فيها كولردج حين كان يكتب (فيلان خان) تدخل  
 ( رجل من بورك ) فبقية القصيدة متوفرة غير كاملة .  
 ومع ذلك فقد بين البرفسور الامريكي السيد ليفنسون  
 لوفيس ، ان كولردج رغم غيبوبته استفاد من جزئيات من  
 المعرفة ، ومن الكلمات والعبارات التي تجمعت لديه اثناء  
 قراءته الواعية . ولا غرابة في ذلك ، لان دماغنا يسجل  
 كل ما نسمعه من اصوات ، وما نراه من صور سواء  
 اوعينا هذا التسجيل ام لم نعه . وليس الشعور سوى كوة  
 صغيرة تطل على عالم الاشعور الفسيح .  
 ان القصيدة التي ساستشهد بها الان اطول من  
 الاولى التي ترجمنا بها الحلم ، واكثر استطرادا وتختلف  
 عنها بان هذه لم تكن نتيجة لتجربة ، كحلم مثلا ، وانما  
 هي في ذاتها تجربة . ففي مطلع القصيدة سار قلومي  
 وذهنني ببطء وتلكؤ ، كما يتضح من قراءة المقطع الاول .  
 ان فيه اكثر مما يجب من الوعي والتفصيل اما بقية  
 القصيدة فقد كتبت بتلقائية تاكد دون مراجعة او تردد  
 وفي حالة غيبوبة :

النوع من الشعر المثالي بالبحث وضبط النفس فامر لا  
 نستطيع تقريره الا بعد ان تكون تجاربنا قد امتدت فترة  
 كافية من الزمان . ولربما كانت درجة التركيز وترويض  
 النفس الضروريان لذلك فوق طاقة الشاعر العادي وما هو  
 اخر الامر الا بشر . واقصد انه ربما اقتضى ذلك العزوف  
 عن اوجه النشاط الديني ، الامر الذي يمارسه اليوغون  
 (1) بيد ان العزوف عن الحياة ابطال لغرض الشعر ،  
 مع انه قد يكون فيه تحقيق لغرض الدين ، لان غاية  
 الشعر هي مضاعفة مباحج الحياة ، ايا بالاحتفال بمحاسنها  
 المباشرة احتفالا حسيا ، كما في الشعر الغنائي ، او  
 بالافصاح عن معناها الاسمي كما في الملاحم والاساطير  
 الدرامية . وينتهي بنا ذلك الى القول ان الشعر  
 الخالص هو الشعر المثالي او المطلق ، لا الشعر الواقعي  
 او الفعلي ، وان الشعر جوهر شفاف لا بد لنا من مزجه  
 بعناصر اغلظ كيما تجعله قابلا للحياة . وان القصيدة  
 المكونة من صور خالصة فقط تشبه تمثالا من البلور ، هو  
 من البرود والشفوف بحيث لاتدركه حواسنا الطبيعية ،  
 لذلك نعكر القصيدة باستعارات وتشبيهات هي مسن  
 ارتباطاتنا البشرية والشخصية . وندخل فيها عواطف  
 وافكار تنتهي بالصورة الاصلية الى الخفاء التام ولا يبقى  
 لنا سوى البلاغة اللفظية . ومن الواضح انه كلما ازدادت  
 البلاغة اللفظية في الشعر ازدادت شعبيته لانه يستثير  
 عندئذ اكبر عدد من الانفعالات البشرية . ولكن ، كما  
 ان الموسيقى الاساسية يمكن ان تعزف بمزمار واحد ولا  
 (1) اليوغون طائفة هندية تحاول الاتصال بالله باحتفار الجسد وبالعزوف  
 عن كل نشاط دينوي .

## آخر منشورات رارا الاداب

ق.ل				
٣٠٠	فدوى طوقان	-	(شعر)	وحدى مع الايام
٢٥٠	فدوى طوقان	-	(شعر)	اعطنا حبا
٢٠٠	شفيق المعلوف	-	(شعر)	عيناك مهرجان
١٥٠	الدكتور عبد السلام العجيلي	-	(قصص)	الحب والنفس
١٥٠	فاضل السباعي	-	(قصص)	ضيف من الشرق
٣٥٠	الدكتور عبدالله عبدالدائم	-	(دراسة)	دروب القومية العربية
١٥٠	الدكتور عبدالله عبد الدائم	-	(دراسة)	التربية القومية
١٥٠	فرانسواز ساغان	-	(رواية مترجمة)	هل تحبين برامس
١٥٠	مرغريت دورا	-	(رواية مترجمة)	هيروشيما حبيبي
٥٠٠	ترجمة الدكتور سهيل ادريس	-	(لسانتر)	دروب الحرية
٦٥٠	ترجمة الدكتور سهيل ادريس	-	(لسانتر)	وقف التنفيذ
	ترجمة الدكتور سهيل ادريس	-	(لسانتر)	الحزن العميق
٤٠٠	ترجمة عايدة ادريس	-	(لسيمون ده بوفوار)	انا وسارتر والحياة
١٧٥	ترجمة الدكتور سهيل ادريس	-	(دراسة)	سارتر والوجودية
٣٠٠	هاني الراهب	-	(رواية)	المهزومون
٣٠٠	عبد الباسط الصوفي	-	(شعر)	ايبات ريفية
٣٠٠	سليمان العيسى	-	(شعر)	رسائل مؤرقة
١٥٠	محمد ابو المعاطي ابو النجا	-	(قصص)	فتاة في المدينة

## الحب والموت

القيت رأسي المنعب على فراش غريب  
فلم يأتي نوم - بل خوف مؤرق  
في البداية كانت غرفتي مظلمة  
فتسلل النور من الشارع  
وهبط مائلا على صفحة المرأة  
يلقي في عيني شعاعه الضبابي  
وجوارحي ، التي كانت ، باختلاجها الحثيث  
تدق الثواني كالساعة النشطة  
ارهفت حسي فصرت اسمع كل نامة  
يردها الصدى حول هذا الفندق المغمور  
حيث قدمت من هنا  
في الهزيع الاخير من الليل

★★

هذا كل شيء ،  
فقد تلاشت اخر خطوة في الشارع ،  
وخبت أضواء المصابيح ،  
تلك المصابيح التي تتألق اليوم  
لتكشف الشهوات والنين في حياة المدن  
فالظلال تجوس خلال الغرفة  
كاخيلة على زجاج اصم .  
تختلط وتضرب في اشكال وصور .  
ثم يبدو النور قادما عبر شارع بعيد  
تاركا دونه جدارا من العتمة .  
وحذاء ذلك الجار يدب شيخ امرأة  
امرأة يائسة ، غير عابثة بما يخبئه لها القدر .  
تقف في تردد ،  
ويخار لهاثها في الضباب الفارس  
كريحة بيضاء .  
وقد علقت باطراف شعرها فطرات الندى  
التي تمسك الضوء وتكثفه .  
كانت خطواتها نائمة خرساء  
وهي تعبر الشارع المرصوف ،  
فتوجع حجارته الزلقة النائة  
قدميها المنهكتين  
اللتين مزقهما طول السرى .  
تربثت منزويا في الظلام  
ولكنها انت الى حيث وقفت  
مدفوعة بحسها الفريزي ،  
فوقفت صامتة بين يدي  
حتى استحال صمتها الى رجاء ،  
فاستجبت وقدمتها الى غرفتي  
التي اخذت نفيض بالدفاء والضياء .

★★

لست في وهم . استطيع ان ارى  
ان في عينيها صفاء ،  
وان شعرها ، وقد سرى فيه البياض ،  
تتهدل صفائره الصفراء  
كنواب الذرة الناضجة .  
نصت على الفور عنها الرداء  
وارتمت بين ذراعي ضاحكة باكيه  
ثم همست : ان الحياة كانت مترعة بالشفاء  
قبل لقينا .

جلست امام الموقد  
فبدت عيناها وشفاتها ناطقات بالحب ،  
ولطالما بلوت عاطفة الحب  
ولكني مارأيتك قط مجسدا  
بصورة كهذه التي وقعت لي  
دونما كد او عناء بحث  
كان جسمها يتألق بوضوح  
ما بين ضوء المصباح ووهج الموقد .  
كان فيه اشعة اثيرة  
يرسلها ردا على ظلمة الليل .  
وكانت كلما ازداد توهجها شدة  
تضائل احساسي بذاتي ،  
حتى اضمحل وجودي وتقمصتني روحها :  
فاطلت على الكون من خلال  
عينين صافيتين صفاء البلور ،  
فرايت الامواج العارمة  
تنكسر على رمال الشاطئ الذهبية ،  
والطيور ذات الاجنحة اللامعة  
تمخر عباب الهواء  
الذي يراقص السنابل المشوقة  
في حقول خضراء فسيحة .  
انه حلم . سرعان ما عرفت ذلك .  
اذ اسندت راسها الى حافة الموقد  
وراحت في سبات عميق ،  
واطرافها ممرضة كأطراف ( داناي ) ،  
لحر اللهب اللافح ينفضه الموقد  
بين حين وآخر  
ولما افقت لم اجدها هناك ،  
وانا عدت انا مرة ثانية :  
عدت هيكلا مبرحا من العظم واللحم  
يحدق في الشهد الاول :  
في الضباب تدفعه الرياح ،  
وفي الاضواء الصناعية .

★★

اما الان فيقبل شبح اخر  
يمشي وجلا حذاء العافة المظلمة  
انه صبي هذه المرة ،  
تستر جسمه اسمال باليه .  
هزيل ، يبدو ظله كالتصل  
يقطع الشارع المرصوف .  
انه ليتخط في سيره  
حتى يقف - ساللا - عند قدمي .  
ومرة اخرى تحتوينا الغرفة  
ولا ضوء فيها الان

سوى بصيص جمرات خابية  
ومرة اخرى ينسلخ الشبح عن اسماله  
فيبدو في الضوء الخافت  
نجيلا ، معروق العظام  
لا استطيع ان ارى لون عينيه  
ولا ان اكشف القصد الذي تضمران ،  
لفرط غؤورهما في الحاجز .  
كان ضامر الوجنتين حتى كان  
جلده وجهه قد شدت نحو فكيه ،  
فبدت جميع مفاصله بارزه .  
ثم وضع يده المعروقة على صدري  
فلم انكش - بل احسست بتضرعه الصامت ،  
وتجد روحي في روحه  
مثنى صقيعا .  
الشاطيء جليدي . وصخرة من زجاج  
تنزلق عنها الامواج الكنية  
لترتمي في قبضة القمر البعيد  
وطيور البحر تنفق في الصمت الابيض  
ولا ينقطع لها صراخ  
الا عندما تدوي ، عبر الصحاري القطبية  
جبال الجليد المتحطمة ،  
دوي المد في ذي الصوت المكتوم .

★★

ثم اجد نفسي من جديد  
متجها شطر الشهد الديوي .  
لست الان في حلم ،  
فالضباب تسوقه الرياح  
في الشارع المقفر .  
ويخترق الشفشاف (1) في تهطاله حزم النور .  
فارتعد وانقلب ،  
اذا بالفاعة الحسناء والفتى الفقير  
مسجبان في السرير  
فادرك انهما ميتان .

هما غريزتا كيوييد والموت . يقول فرويد في كتابه  
(دراسة في السيرة الذاتية) : «لقد جمعت في مفهوم كيوييد

(1) مطرية برد

عندما اتممت هذه القصيدة وقراتها ادركت اني  
وضعت اسطورة . وهذه الاسطورة هي تعبير كامل عن  
نظرية فرويد القائلة بوجود غريزتين تهيمتان على حياتنا ،

تقر

## دار العالم للملايين

بان تقسيم إلى فتراتها مناسبة أسبوع  
الكتاب ، أقوى مجموعة من الكتب القيمة:

○ الإنسان والكون للدكتور فؤاد صروف

○ رواد الفكر الاشتراكي للدكتور كول  
تعمير الاستاذ منير البعلبكي

○ العروة الوثقى للمؤرخ  
تعمير الاستاذ انيس زكي حسن

○ مختصر تاريخ العرب للمؤرخ الهندي سيد امير علي

○ جهنم اير للكاتبة العالمية شارلوت برونتي  
تعمير الاستاذ منير البعلبكي

○ روح الاسلام للمؤرخ الهندي سيد امير علي

○ من السجن الى الرئاسة لطبعة جديدة من مذكرات  
جواهر لال نهرو

○ امراد الصرا العربي للاستاذ انيس المتدويج

○ القرية الفصحى للدكتور عمرو فخر

○ الكون الاضرب قصة النظرية النسبية  
للدكتور عبد الرحيم بدر

بين غريزتي حب البقاء وبقاء النوع ، مقابل غريزة الموت  
أو الفناء ، التي تعمل فينا بصمت . وتعتبر الغريزة ضربا  
من الرونة في الكائن الحي ، أو ميلا نحو استرجاع موقف  
سابق اخرجنا منه تشويش خارجي . وتمثل ظاهرة  
الارغام على التكرار الطابع المحافظ للغريزه . وان الصورة  
التي تيررها لنا الحياة هي حصيلة التعاون بين كيوييد  
وغريزة الموت أو تخاضهما .

ان قصيدتي اسطورة درامية وهي - وان تكن قليلة  
الاهمية كشمع - تقدم الينا بصورها البصرية عدلا للمفاهيم  
المجردة في نظرية فرويد (1) لا شك في ان الاساطير وضعت  
قبل النظريات ، الا ان الغرض الاساسي لهذا المقال هو الإحياء  
بان النظريات ناقصة ما بقيت مفاهيم عقلية ولكي تستقر  
هذه المفاهيم في خيال الجنس البشري يجب ان تتحول  
الى اساطير .

ويتضح بنتيجة هذه التجارب ان الشعر وسيط بين  
الحلم والواقع . وقد بقيت الفلسفة قرونا طويلة تسفه  
هذا المفهوم للواقع مبرهنة في ذلك على انها ليست سوى  
توفيق بأس بين المتوسطات والاحتمالات . ان الفلسفة  
تستند الى شكل من المثالية - نظام من الكليات الفكرية  
يعطي الوجود تماسكا وديمومة ، او يتقبل موقفا عابرا  
كالوضعية المنطقية Logical Positivism التي ليست  
الا شكلا معاصرا لمذهب الالادرية . اما الفن فليس عملا  
ولا فلسفة ولا مثالية ولا ادربة ، وانما هو محاولة لحل هذه  
المشكلات الوجودية بوساطة تركيب حي . فالشاعر يعاني  
التناقضات في الحياة كما يعانيها العالم او الفيلسوف بيد  
انه يحلها في الخيال بدلا من الاستنتاج والاستقراء فالخيال  
هو الملكة التي نستطيع بها ان نحيط بالحدود المتناقضة  
في تجربتنا ، فهو يستقطب ابعاد المتناقضات في محرق  
واحد حيث تصهرها اشعة قوية فتحيلها الى كمال وتماسك  
ووحدة حسية مرنة - وهذا هو العمل الفني . والمعجزة  
الفنية هي الدليل الموضوعي الوحيد على ان ماهو كوني  
وخالد هو فوق الواقع .

ترجمة : قاسم عينو

(1) الى اي حد يمكن ان يعزى فشل القصيدة ؟ الى اي مدى تمكن  
الحيولة دون فشلها بالتوجيه الواعي اثناء عملية الابداع ؟ اما انا  
فاجيب على هذه الاسئلة الهامة بما يأتي :

1 - ان اي تدخل من قبل القعدة الواعية او الفكرية يقضي فورا  
على عملية الكتابة .

ب - ان اي تعديل ما لم يكن زهيدا جدا يفسد وحدتها الاسطورية .  
ج - ان القصيدة يجب ان تبقى كما هي ، قائما ان ترقى واما ان تستقط  
وبمعنى ذلك ان القصيدة الاحسن لا بد ان تكون ثمرة لمجموعة اخرى  
من العناصر مثل : ( الصور الكائنة على عتبة الشعور ) ودرجة  
الفيبوية ، والحالة الصحية وشروط البيئة والطبيعة ) . ولا يمكن ان  
تكون هذه العناصر عرضية ، ولا ان تكون المناسبة تسفية . فالثقافة  
هي غير الصدفة ، وليس الالهام قوة عيابه . خذ مثلا التجربة الكيماوية:  
فلن تكون التجربة ناجحة يجب ان تكون الادوات نظيفة والكميات دقيقة  
والحرارة ثابتة ولا يتم للشاعر مثل هذه الشروط الا بمعدات ذهنية لها  
نفس الدقة ، وربما كان هذا هو السبب الذي يجعل الشعراء المجيدين  
اذا كتبوا نثرا كان نثرهم واضحا وضوحا غير عادي .

## مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر  
مع منشورات دار الاداب  
اول طريق الشام  
صاحبها : حسن شعيب